لحظة سبيفاك

د. عبد النبي اصطيف

يتحدث معظم مؤرخي الدرس المقارن للأدب عن مدرستين رئيسيتين سادتا ميدان الأدب المقارن في القرن التاسع عشر ومعظم عقود القرن العشرين هما **المدرسة الفرنسية التقليدية، والمدرسة الأمريكية**. ويفضّل آخرون الحديث عن **ساعة فرنسية(1) وأخرى أمريكية(2)** في يوم الدرس المقارن للأدب، وإذا ما أخذ المرء بوجهة النظر الأخيرة فإنه يمكن أن يتحدث عن **لحظات هذه الساعة من خلال نسبة كل منها إلى شخصية مؤثرة سادت بأفكارها النظرية وممارساتها التطبيقية المشهد الأمريكي الذي يمثل في حد ذاته حالة هجنة لا يمكن أن تدرس إلا دراسة مقارنة لما تنطوي عليه من فسحة تفاعل حميمي بين "الأنا" و"الآخر"، خاصة وأن المجتمع الأمريكي مجتمع مهاجرين متجدد الدماء والطاقات والمكونات، وأن الدرس المقارن فيه قد تأسس على جهود وافدين من مجتمعات أخرى، رأوا في المجتمع الجديد الذي حلّوا فيه تحدياً معرفياً لما ألفوه في مجتمعاتهم وقادتهم مواجهتهم لهذا التحدي المعرفي إلى تبني وجهة نظر محددة في تدبّر الأدب تدبراً تمليه طبيعته ذاتها.**

وهكذا فإنه يمكن أن يتحدث المرء عن لحظة رينيه ويليك Wellek René التشيكي التي هيمنت فيها آراؤه على الدرس المقارن للأدب منذ نهاية الخمسينيات وحتى مطلع السبعينيات، عندما بدأت لحظة هنري رماك Henri Remek الألماني التي سادت هذا الدرس حتى نهاية الثمانينيات، حيث بدأ نجم إدوارد سعيد العربي الفلسطيني بالسطوع إثر ظهور كتابه **الاستشراق *Orientalism*** عام 1978، واستمر حتى وفاته عام 2003م عندما جاءت غاياتري شاكرافورتي سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak الهندية البنغالية لتحمل الراية، وتدعو إلى **أدب مقارن جديد، معلنة في الوقت نفسه موت الأدب المقارن القديم**، هذا الموت الذي أملته وقائع عالم النظام العالمي الجديد وعصر العولمة، الذي بدأ يعصف بكل ما ألفته الإنسانية عبر العصور، ويتعامل مع كوكب الأرض بوصفه

عالماً لا يقرّ بأية حدود لغوية أو قومية أو سياسية، كوكب يصول فيه رأس المال ويجول بحرية لا تعرف الحدود، وينتقل فيه البشر بحثاً عن فرص أفضل تكفل لهم حياة أفضل ينعمون فيها ببحبوحة من المال والرفاهية والحرية والسعادة.

وقد جاء إعلان سبيفاك الناقدة التفكيكية، النسوية، والمابعد استعمارية سبيفاك عن **موت الأدب المقارن** في سلسلة **محاضرات مكتبة ويليك في النظرية النقدية The Wellek Library Lectures in Critical Theory** التي ألقتها عام 2000م في جامعة كاليفورنيا، في إيرفين، وجمعتها لاحقاً لتنشرها في صورتها المنقحة عام 2003م في كتاب حمل عنواناً موحياً، هو: ***موت علم Death of Discipline***(3) صدر عن مطبعة جامعة كولومبيا.

ولكن من هي غاياتري شاكرافورتي سبيفاك؟

ولدت الناقدة المولّدة الهندية الأصل، **الأمريكية** الجنسية، البنغالية اللغة الأم، غاياتري شاكرفورتي سبيفاك في الرابع والعشرين من شهر شباط عام 1942، في مدينة كلكتا، لأسرة كوزموبوليتانية من الطبقة الوسطى، وبعد أن حصلت على شهادة الإجازة في الأدب الإنكليزي من **الكلية الرئاسية** Presidential College في جامعة كالكوتا عام 1959، استدانت بعض المال وتوجّهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث التحقت بجامعة كورنيل، ونالت درجة الماجستير منها عام 1962، وجمعت بعدها بين العمل والدراسة: العمل في جامعة آيوا، والدراسة في جامعة كورنيل تحت إدارة بول دومان الذي أشرف على أطروحتها عن الشاعر الإيرلندي ييتس، والتي نشرتها لاحقاً في كتاب حمل عنوان: **Myself Must I Remake: The Life and Poetry of W. B. Yeats** (1974), **نفسي ينبغي أن أصنعها: حياة و.ب. ييتس وشعره**، ظهر عام 1974.

عرفت سبيفاك بداية بترجمتها عام 1977 لكتاب جاك ديريدا *De la grammatologie*، وبمقدمتها الضافية له، ثم برزت في المشهد النقد الغربي بوصفها واحدة من أكثر الشخصيات تأثيراً فيما بات يعرف بالنظرية ما بعد الاستعمارية Post-colonial Theory، والنقد التفكيكي النسوي Feminist Deconstruction Criticism. وعلى الرغم من أنها كانت باستمرار تعمل في الولايات المتحدة، فإنها مرتبطة على نحو وثيق بـ"**جماعة دراسات المنضوي**" Subaltern Studies Group في دلهي الجديدة.

و الناقدة سبيفاك ليست مؤلفة كتب بمقدار كونها كاتبة مقالات وملقية محاضرات ومؤلفة بحوث. ولذا فإن سمعتها مؤسَّسة على مقالاتها(4) ومحاضراتها وبحوثها في المؤتمرات القومية والدولية التي جمعتها في كتب عدة (5) غدت قراءات أساسية لدارسي النقد العالمي المعاصر. وقد اعترفت هي ذاتها في

مناسبات عديدة أنها تكتب بصعوبة سواءً أكان ذلك بالإنكليزية أم بالبنغالية. لذا كان أسلوبها صعباً لأنها تعتمد على صك الكلمات والمصطلحات الجديدة، وعلى إيراد صور وأفكار متجاورة على نحو غير متوقع. وكذلك فإن في كتاباتها الكثير من التكرار بسبب اعتمادها على **المقالة/ المحاضرة**. وتغلب على كتاباتها النزعة الشخصية على نحو عميق، غير أنها تكتب بشيء من حس الفكاهة، والنرجسية معاً، وتتحدث عن نفسها بوصفها امرأة من العالم الثالث تعمل في جامعة متميزة في الغرب (**كولومبيا**)، وربما كان من أبرز ما يميزها مساءلتها المستمرة للمقولات الأساسية القائمة على ثنائيات مصطنعة من جانب الغرب، مع أنها تعترف أنّ عليها في بعض اللحظات أن تتحدث بوصفها هندية وآسيوية بغرض تحدي نفوذ الإنشاء الاستعماري(6).

وباختصار شديد إن سبيفاك ناقدة مولّدة بالمعنى العربي للكلمة، لأنها نتاج عالمنا الجديد الذي حولته العولمة Globalization (البغيضة إلى نفس سبيفاك) إلى قرية كونية، ولكنها في الوقت نفسه تتمتع بوعي حاد بأصولها البنغالية، وتحرص بوصفها تنتمي إلى عالم الجنوب الذي أزرى به الدهر على يد الاستعمار الغربي، على أن تجعل من فكرها ونقدها وترجماتها لأدبه إيضاحاً صادقاً عما فيه من غنى وتنوع وأصالة وتميز. ومن هذه الأرضية انطلقت في دعوتها إلى أدب مقارن جديد، بعد أن نعت الممارسات السائدة في الدرس المقارن للأدب في الغرب عامة، والولايات المتحدة الأمريكية.

وعلى الرغم من أن الكثيرين من المعنيين بتتبع مختلف النشاطات المرتبطة بالدرس المقارن للأدب قد يستغرب هذا النعي لهذا الحقل المعرفي المهم في ضوء ما يراه من ازدهار وتوسع في مختلف وجوه هذا الدرس، ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية، بل في سائر أنحاء العالم أيضاً، فإن المرء إذ يتأمل وضعه الراهن ليدرك بسهولة أن ما يكمن وراء هذه النعي هو أن الدرس المقارن للأدب، كما عرفته المدرسة الفرنسية التقليدية، التي هيمنت على طرائقه حتى نهاية العقد السادس من القرن الماضي، وكما مارسته المدرسة الأمريكية حتى أواخر ذلك القرن، غدا جزءاً من الماضي الذي تجاوزته الممارسات التي شهدتها مطالع الألف الثالثة. ذلك أن الأدب المقارن، أو الدرس المقارن للأدب، في القرن الحادي والعشرين أصبح ميداناً سريع الانجذاب إلى حدوده مع المعارف الأخرى، وبات بالتالي معرضاً باستمرار لإغراء عبور هذه الحدود، حتى أنه تشظى في توزعه بينها، ففقد بذلك تميزه وهويته اللذين طالما سعى المقارنون، حتى نهاية القرن العشرين، إلى الحفاظ عليهما، بغرض الاطمئنان بالتالي إلى مستقبله. وربما كان تخلي المكتبات التجارية Bookshops أو Bookstores عن الرفوف والأقسام الخاصة به مؤشراً على هذا التشظي، إذ نرى كتبه الراهنة موزعة بين ثنايا كتب النظرية الأدبية، والنظرية النقدية، والدراسات

الإنسانية عامة. وهو ما تنبه إليه تقرير **الرابطة الأمريكية للأدب المقارن** لعام 1993، الذي تلمّس هذا التشظي الناجم عن انجذاب الدرس المقارن للأدب للتخوم التي يفترض بها أن تحده، فغدت فخاً له يغريه بداية بالعبور إلى ما وراءه، وينتهي به في خاتمة المطاف إلى هذا الذوبان في حقول وميادين معرفية أخرى سعى المقارنون الأوائل، والأجيال العديدة التي تابعتهم، إلى حمايته من أن يرتع فيها، حفاظاً على هويته المهددة في حديها الأدبي والمقارني.

يصف تقرير **الرابطة الأمريكية للأدب المقارن** لعام 1993 "الأدب المقارن في الألف الثالثة بأنه ميدان من الميادين، منجذب إلى حدود هي فرص لعبور الحدود"، ويضيف:

"تتضمن فسحة المقارنة اليوم مقارنات ما بين الإنتاجات الفنية التي تدرس عادة من جانب معارف مختلفة؛ ومقارنات بين الإنشاءات الثقافية المختلفة لتلك المعارف؛ ومقارنات ما بين التقاليد الثقافية الغربية، الرفيعة والشعبية كلتيهما، وتقاليد الثقافات غير الغربية؛ ومقارنات ما بين الإنتاجات الثقافية للشعوب المستعمَرة ما قبل الاتصال وما بعده؛ ومقارنات ما بين إنشاءات الجنس المحددة بأنها إنشاءات مؤنثة وتلك الإنشاءات المحددة بأنها إنشاءات مذكرة؛ أو بين التوجهات الجنسية المحددة بأنها توجهات سوية وتلك المحددة بأنها مثلية؛ ومقارنات ما بين أنماط الدلالة العرقية والإثنية؛ ومقارنات ما بين الإفصاحات التأويلية للمعنى والتحليلات المادية لأنماطها في الإنتاج والتوزيع؛ وأكثر من هذا كله، إن هذه الطرق من طرق وضع الأدب في سياقات الحقول الموسعة للإنشاء discourse، والثقافة، والأيديولوجية، والعرق، والجنس gender، جد مختلفة عن النماذج القديمة للدراسة الأدبية التي تتبع المؤلفين، والأمم، والفترات، والأنواع genres، إلى درجة أن مصطلح "الأدب" لم يعد كافياً لوصف موضوع دراستنا"(7).

وهذا توصيف مجمل بحاجة إلى شيء من شرح وتفصيل. يشير التقرير إلى فسح مقارنية تشمل فيما تشمل:

- **"مقارنات ما بين الإنتاجات الفنية التي تدرس عادة من جانب معارف مختلفة"**؛ أي المقارنة ما بين إنتاجات فنية تنتمي لفنون مختلفة من جانب، وتدرس من وجهات نظر معارف مختلفة من جانب آخر. فالعمارة على سبيل المثال، وهي فن جميل، يمكن أن تدرس من وجهة نظر جمالية، ومن وجهة نظر اجتماعية، ومن وجهة نظر نفسية، ومن وجهة نظر تاريخية، ومن وجهة نظر رياضية، ومن وجهة نظر فيزيائية وهكذا، وهذا الفنى الذي ينطوي عليه هذا الفن الجميل يغري بهذه المقارنات لما يمكن أن تلقيه من أضواء على جوانب مهمة فيه. والشأن نفسه يمكن أن يسري على فنون جميلة أخرى كالرسم والنحت والموسيقى والرقص والمسرح والسينما، مثلما يمكن أن يسري على معارف إنسانية، وعلوم طبيعية وهندسية وطبية وفلكية وغيرها.

• **"ومقارنات بين الإنشاءات الثقافية المختلفة لتلك المعارف"**؛ أو المقارنات ما بين الإنشاءات الثقافية للمعارف المختلفة، وبخاصة في مجال العلوم الإنسانية التي تتخذ من الإنسان محوراً لها وموضوعاً أساسياً تنصرف بطبيعة اختصاصها إلى تدبر وجه من وجوه حياته. فالحدود أو التخوم التي يلتقي عندها حقلان معرفيان تغري بدراسة العلاقة بينهما كما تتبدى في عناية كل منهما بموضوع مشترك. فالموت على سبيل المثال يمكن أن يجمع بين علوم ومعارف وفنون مختلفة يمكن أن يسهم كل منها في فهم أبعاده المختلفة على نحو أفضل، وكذا الشأن في الحب أو الحرب أو الهجرة أو المنفى أو غيرها من الفسح المشتركة التي يعيشها البشر بكليتهم ويتفاعلون معها على أكثر من مستوى.

• **"ومقارنات ما بين التقاليد الثقافية الغربية، الرفيعة والشعبية كلتيهما، وتقاليد الثقافات غير الغربية"**؛ خاصة وأن تحول العالم اليوم إلى قرية كونية، تضم عدداً كبيراً من الأحياء المتجاورة، بات يغري بهذه المقارنات لما تنطوي عليه من إثارة وإغناء للتجارب الإنسانية. فالمختلف يثير الفضول وحب الاطلاع وفهم حقيقة اختلافه عن المثيل، ويغري في كثير من الأحيان بالاقتباس والأخذ عنه ومحاكاته والاغتناء بتجاربه.

• **"ومقارنات ما بين الإنتاجات الثقافية للشعوب المستعمَرة ما قبل الاتصال وما بعده"**؛ يحفزها أساساً الرغبة في معرفة تأثير التجربة الاستعمارية في حياة هذه الشعوب، وتحديد ماخلفته التركة الاستعمارية من آثار في الواقع الراهن الذي تعيشه في فترة ما بعد تحررها من براثن الاستعمار التقليدي، وهي تركة ثقيلة لم يتحرر منها حتى المستعمرون أنفسهم، فما بالنا بالذين استعمروا وعانوا ألواناً من القهر والاستغلال والتمييز والتطهير العرقي أيضاً.

• **"ومقارنات ما بين إنشاءات الجنس المحددة بأنها إنشاءات مؤنثة وتلك الإنشاءات المحددة بأنها إنشاءات مذكرة؛ أو بين التوجهات الجنسية المحددة بأنها توجهات سوية وتلك المحددة بأنها مثلية"**؛ فالحرية الفردية التي مضت بها المجتمعات الغربية إلى أقصى حدودها، بل إلى حدود متطرفة غاية التطرف، فرضت هذه المقارنات التي غدت جزءاً لا يتجزأ من حياة هذه المجتمعات، ولاسيما أن عقابيل اجتماعية واقتصادية وقانونية وسياسية قد نجمت عن الاعتراف بهويات هذه التوجهات والفوارق الجنسية. أما المجتمعات الأخرى التي فتنت بالأنموذج الغربي، فقد توهمت أن تنبهها لهذه الفروق وما تغري به من مقارنات ودراسات يضعها في مسار التطور والتقدم والتحرر من إسار مجتمعاتها التقليدية التي بات الجميع ينظر إليها على أنها تجارب من الماضي تصلح للمتاحف والمحميات أكثر مما تصلح للحياة المعاصرة.

• **"ومقارنات ما بين أنماط الدلالة العرقية والإثنية"**؛ والتي أملتها أساساً موجات الهجرة المحفوزة بعوامل مختلفة: سياسية واقتصادية

واجتماعية وثقافية. فالوعي بالآخر المختلف عرقياً وإثنياً، وما ينطوي عليه اختلافه هذا من دلالات بات حافزاً لا يستهان به في ألوان من الدراسات المقارنة التي ترصد صور "الآخر" لدى "الأنا" وصور "الأنا" لدى "الآخر" المباين عرقياً أو إثنياً.

• **"ومقارنات ما بين الإفصاحات التأويلية للمعنى والتحليلات المادية لأنماطها في الإنتاج والتوزيع"**؛ ولاسيما بعد التطورات التي أحدثتها اللسانيات في مختلف العلوم الإنسانية، والتحولات التي طرأت على هذه العلوم بفعل التطورات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها وتشهدها المجتمعات الغربية، وغير الغربية، المعاصرة. فالدلالات والمعاني مرهونة بأدوات التحليل التي تكشف عنها، وقد خضعت هذه الأدوات لتطورات هائلة في الربع الأخير من القرن الماضي.

إذن ثمة فرق جوهري طرأ على طبيعة الدرس المقارن للأدب جعل العاملين فيه يفكرون حتي في إعادة النظر في موضوعه. وهذا ما يشير إليه التقرير نفسه، عندما يضيف:

"وأكثر من هذا كله، إن هذه الطرق من طرق وضع الأدب في سياقات الحقول الموسعة للإنشاء discourse، والثقافة، والأيديولوجية، والعرق، والجنس gender، جد مختلفة عن النماذج القديمة للدراسة الأدبية التي تتبع المؤلفين، والأمم، والفترات، والأنواع genres، إلى درجة أن مصطلح "الأدب" لم يعد كافياً لوصف موضوع دراستنا"(8)، وهو الأدب بوصفه واحداً من الفنون الجميلة.

بل إن مجرد النظر إلى أي نتاج ثقافي على أنه "نص" Text أو على أنه "إنشاء" discourse، بات يعني أن الحدود التي طالما اطمأن الدارسون إلى وجودها بين الأدب وغيره من الإنشاءات الثقافية غدت مجرد حدود متخيلة، مؤسسة على الرغبة أكثر مما هي مستندة إلى الواقع الملموس.

فمفهوم الأدب - موضوع الدرس المقارن - غدا بحاجة إلى إعادة نظر جذرية بعد أن توسعت نظرة المقارنين إليه إلى درجة بات معها كل ما دوّن أدباً، ومفهوم المقارنة خضع بدوره في الألف الثالثة إلى تحوّلات بدّدت كل القيود والشروط التي وضعتها المدارس المختلفة لممارسته.

وباختصار شديد لقد توسع مفهوم الدرس المقارن للأدب إلى درجة مثيرة غدت معها الممارسة الجادة له تشكل تحدياً لا يستهان به للدارس الجاد، واختباراً صعباً لإمكاناته وقدراته وقوة إرادته، ورسوخ تصميمه، ومدى صبره.

وفي محاولة من سبيفاك إلى استعادة هوية الدرس المقارن للأدب وإنقاذه من هذا التشظي، سعت إلى المضي إلى أبعد مما سعى إليه إدوارد سعيد، ومارسه على نطاق واسع، من قراءات طباقية Contrapuntal Reading للمنتجات الثقافية والفنية والأدبية في العصر الإمبريالي وما بعده، فدعت إلى المزاوجة ما بين هذا

الدرس وما بات يعرف بدراسات المنطقة " Area Studies"، أو "الدراسات الإقليمية" " Regional Studies". وهي تقليد بحثي يستند إلى معطيات العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة والتي تتضافر فيما بينها لتسهم في فهمنا لمنطقة من مناطق العالم، مثل منطقة الشرق الأوسط أو منطقة الشرق الأقصى أو منطقة أوربة الشرقية أو غيرها من المناطق، ويعدّ بحق خطوة منهجية متقدمة في مجال دراسة ثقافة "الآخر" "The Other"، ومجتمعه، وتاريخه. ومعنى هذا أنه سيكون إلى جانب نظريات الدرس المقارن للأدب، درس مقارن تطبيقي خاص بمنطقة معينة من مناطق العالم المعروفة. أي أنه سيكون هناك درس مقارن للأدب خاص بالشرق الأوسط، وآخر خاص بالشرق الأقصى، وثالث خاص بشبه القارة الهندية، ورابع خاص بأوربة الشرقية، وخامس خاص بأمريكا اللاتينية، وسادس خاص بشرقي إفريقية، وسابع خاص بغربيها، وثامن خاص بجنوبها، وتاسع خاص بأسترالية ودول المحيط الهادي، وعاشر خاص بآسية الوسطى، وحادي عشر خاص بالدول الاسكندنافية وهكذا. وسعي كهذا سعي سهل وممتنع في آن معاً:

فهو سهل لأنه يبدو منطقياً وطبيعياً لا يكاد يماري فيه أي معني بالدرس الجاد للأدب -أي أدب قومي، فالمعرفة العميقة بأحوال أية منطقة جغرافية (كالشرق الأقصى، أو جنوب شرقي آسية، أو آسيا الوسطى، أو أوربة الشرقية، أو الشرق الأوسط، أو غيرها من المناطق) من النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها تشكل بالتأكيد عوناً لا يستهان به في تعميق فهم الدارس المقارني للأدب، بل إنها تعدّ بحق شرطاً ضرورياً لفهم النصوص الأدبية المنتجة بلغة ما، من جانب كاتب ينتمي لمجتمع ما، أو فئة اجتماعية ما، أو عرق أو جنس ما متميز عن غيره.

ولكنه من جانب آخر **ممتنع أو لنقل إنه بعيد المنال إلا على ذوي النفوس العظيمة الطموح، لأنه صعب ويقتضي مزاوجة بين المعرفة النظرية الراهنة باستمرار بالدرس المقارن في مختلف التقاليد الثقافية القومية من جهة، وبين المعرفة المعمقة والشاملة بمنطقة من مناطق العالم لغة وتاريخاً وثقافة، ومجتمعاً، وسياسة، واقتصاداً وغير ذلك من جهة أخرى، وهو أمر لا يتأتّى إلا لكبار النفوس الذين لا يعبؤون بتعب الأجساد، إذا ماشئنا استعارة عبارة المتنبي.**

وفضلاً عما تقدم من صعوبة فإن **هذه التقسيمات الإقليمية للعالم، وإن بدا أنها تستند إلى الجغرافية الطبيعية، تقسيمات سياسية أملتها حاجات تدبّر الغرب لسائر العالم معرفياً قبل أن يتدبّره عملياً، وبالتالي فإنها تقسيمات مقحمة على العالم من خارجه، ومحفوزة بدوافع وأغراض ومصالح دنيوية، لا تعبأ كثيراً بالقيم والمبادئ والمثل والأعراف والقوانين الإنسانية.**

وكذلك فإن ثورة الاتصالات المعاصرة قد يسّرت تواصلاً واسعاً وعميقاً بين مختلف هذه المناطق، وتحوّل عالم اليوم إلى قرية كونية Global Village، لا تقيم كبير وزن للحدود القائمة بين هذه المناطق، ولاسيما أن موجات التحرك البشري باتت سمة مميزة من سمات عالمنا المعاصر.

وقد فرض هذا التواصل الواسع والعميق والشامل ضرورة استعمال لغة مشتركة غدت معها اللغة الإنكليزية، بفعل العولمة التي اجتاحت العالم مع قدوم النظام العالمي الجديد، المرشح الأبرز لهذه المهمة، إذ بات يستخدمها ثلث سكان الكرة الأرضية (نحو ملياري شخص)، مخلفة وراءها اللغة الفرنسية، واللغة الإسبانية (التي ستكون في العقود القادمة منافساً قوياً لها) وغيرهما من اللغات الرسمية التي تبنتها الأمم المتحدة، والتي لم تعد الخيار الأول لمواطن عالم القرية الكونية، أو مواطن العولمة.

والحقيقة أن "المنظور العولمي" Global Perspective للكون والحياة والإنسان بات منظوراً مشتركاً بين شرائح عديدة في مختلف مجتمعات الألف الثالثة، مما يعرّض الدعوة إلى تبني النظرة الإقليمية إلى تهمة "ضيق الأفق" والتي يفترض بالدرس المقارن أن يطهّر نفسه منها، لأنه يسعى أساساً إلى تدبّر الأدب القومي في سياقات أوسع من السياقات القومية وينظر إليه على أنه منتج إنساني، لأن الإنسان واحد، وفنه فن واحد، وأدبه أدب واحد، على حد تعبير رينيه ويليك.

وإذا كان هذا المسعى مسعى يبدو للوهلة الأولى سهلاً، وينطوي في الوقت نفسه على صعوبات عديدة تجعل ممارسته محفوفة بالمخاطر إن لم يحسن الدارس لغات المنطقة التي يدرس آدابها، ويحيط بكل ما يتصل بها: جغرافية وتاريخاً وسياسة، واقتصاداً، ومجتمعات، وثقافة، وغيرها، فإن مجرد التفكير في هذه الصعوبات يحوّله إلى مثبط للعزائم التي تهدد أي درس مقارن يتطلب أصلاً جهوداً مضنية من جانب ممارسه. ولكن ضرورة الاستجابة إلى طبيعة الأدب ذاتها تجعله خياراً لابد منه للدارس المقارن المكره لا البطل، ومن ثم فإنه لا بد من النظر إلى هذه الصعوبات على أنها تحديات تنبغي مواجهتها بالصبر والإرادة القوية الحازمة والمضي في دروب المعرفة إلى أبعد مدى ممكن من الناحية الإنسانية.

الهوامش

(1) انظر فصل " الساعة الفرنسية " The French Hour " من كتاب كلوديو غوين تحدي الأدب المقارن:

Claudio Guillén,
The Challenge of Comparative Literature,
Cola Franzen, Translator,
(Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts and London, 1993).
P p. 46-59.

(2) انظر فصل " الساعة الأمريكية في المرجع السابق، ص ص (60 -62).

(3) انظر:

Gayatri Chakravorty Spivak,
Death of A Discipline
(Columbia University Press, New York, 2003).

(4) ا نظر على سبيل المثال مقالاتها:

"Subaltern Studies: Deconstructing Historiography" (1985),
"Three Women's Texts and a Critique of Imperialism" (1985),
"Can the Subaltern Speak?" (1988),
"The Politics of Translation" (1992),
"Moving Devi" (1999),
"Righting Wrongs" (2003),
"Ethics and Politics in Tagore, Coetzee, and Certain Scenes of Teaching" (2004),
"Translating into English" (2005).

(5) انظر على سبيل المثال كتبها:

In Other Worlds: Essays in Cultural Politics (1987),
Selected Subaltern Studies (ed., 1988),
The Post-Colonial Critic: Interviews, Strategies, Dialogues (1990),
Thinking Academic Freedom in Gendered Post-Coloniality (1993),
Outside in the Teaching Machine (1993), Imaginary Maps (translation with critical introduction of three stories by Mahasweta Devi, 1994),
The Spivak Reader (1995

(6) انظر:

David Macay,
The Penguin Dictionary of Critical Theory
(Penguin Books, London, 2001), pp.361-62.

(7) انظر:

Comparative Literture in the Age of Multiculturalism,
Edited by Charles Bernheimer
(Johns Hopkins University Press, Baltimore and London, 1995), pp. 41-42.

(8) انظر:

Comparative Literature in the Age of Multiculturalism,
Edited by Charles Bernheimer
(Johns Hopkins University Press, Baltimore and London, 1995), p. 42.

❑❑

اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق

الموقف الأدبي

مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية

العدد
457
أيار
2009
السنة الثامنة والثلاثون

شعر:
- مسافة
زاهد المالح
- صبايا الكرخ
محمد وليد المصري
- العائد
فايد إبراهيم
- المنحّل في فلواتي
مجيب السوسي

قصة:
- التفاحة
عبد النبي حجازي
- اليغـــل
محمود الوهب
- لا يموت
زهير جبور
- الـزمـن
عزيز نصّار

حوار مع
الشاعر: إبراهيم الجرادي
المترجم مرديس جلال

اطلب الكتاب الشهري مع العدد مجاناً

ملفّ عن قصيدة النثر:

- إشكالية قصيدة النثر
د. فارس الرحاوي
- بين الشعر والنثر
دهنون أمال
- الإيقاع ووسائله في شعرنة الكلام.
د. محمد زيوش
- قصيدة النثر في العراق
عبد العزيز إبراهيم